ما قاله عبدالباري عطوان عن تحولات المنطقة

كتب عبد الباري عطوان في مقال له نشر في موقع رأي اليوم جاء فيها: بعد عام من توليه العرش حصد العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز وسام الجمهورية التركي، وقلادة النيل المصرية، وشهادة دكتوراه فخرية من جامعة القاهرة، وعقد اربع قمم مع الرئيس التركي رجب طيب اردوغان، وثلاث اخرى مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، واسس تحالفين احدهما عربي والثاني اسلامي، وتزعم اضخم مناورات عسكرية في تاريخ المنطقة (رعد الشمال)، واستعاد سيادة بلاده على جزيرتي "صنافير" و"تيران"، في مدخل خليج العقبة، وارسل طائرات "عاصفة الحزم" لخوض حرب مفتوحة النهايات في اليمن، واربع طائرات اخرى الى قاعدة "انجرليك" التركية الجوية للمشاركة في الحرب ضد "الدولة الاسلامية"، وربما محاولة اسقاط النظام السوري لاحقا، اذا سارت الرياح وفق اشرعة السفن السعودية.

هجمة دبلوماسية سعودية اخذت الملك سلمان الى القاهرة، ومنها الى انقرة، بينما طار نجله ولي ولي العهد، وخليفته القادم الى العاصمة الاردنية عمان، ومنها الى امارة ابو ظبي، وحظي في العاصمتين باستقبال الملوك، حتى ان العاهل الاردني الذي كان في استقباله في مدينة العقبة كسر البروتوكول الرسمي واصدر بيانا رسميا في ختام الزيارة.

ما الذي يحصل.. ولماذا هذه الهجمة، وهل هي مؤشر عن حالة خوف، او علامة قوة؟ وما الذي يمكن استقراؤه من كل هذه التحركات، وفي مثل هذا التوقيت، من قبل دولة معروفة بتثاقل حركتها، وعمق تأنيها، وفي منطقة من اكثر مناطق العالم التهابا؟

تطوران رئيسيان يقفان خلف هذه "الهجمة" السعودية، الاول: محاولة تشكيل "تحالف سني" في مواجهة الخطر الايراني يرتكز على مثلث سعودي تركي مصري، والثاني: الانسحاب الامريكي المتدرج من منطقة الشرق الاوسط سياسيا وعسكريا، والتخلي عن الحليف السعودي الذي كان محور ارتكاز الاستراتيجية الامريكية وحروبها في المنطقة على مدى ثمانية عقود.

المال هو الاسمنت الذي من المفترض ان يؤدي الى ترتيب اضلاع هذا التحالف وتمتينها، فصاحب القرار السعودي يملك الكثير منه للانفاق على تحالفاته الخارجية، ومستعد لبيع كل ممتلكات الدولة الاساسية واصولها، بما فيها نسبة من شركة "ارامكو"، ورهن الاحتياطات النفطية، او بيع جزء منها لتمويل التوجه الاستراتيجي الجديد، وحروبه المقبلة.

صحيح ان ضلعين من المثلث باتا جاهزين (تركيا والسعودية)، ولكن الضلع الثالث (مصر) يجري العمل لتجهيزه حاليا، من خلال وساطة سعودية للتقريب بين القاهرة وانقرة، والمسألة ربما مسألة وقت، والعقبة، اي "الاخوان المسلمين"، ليست ضخمة بحيث تعرقل الطموح الاقليمي الاكبر، اذا نظرنا الى تراجعات اردوغان الاخيرة تجاه اسرائيل والعراق، ومن غير المستبعد ان نرى حلولا لها في المستقبل المنظور، فمصر باتت "جزيرة" سعودية ثالثة بعد جزيرتي "صنافير" و"تيران"، وقرارها بات حاليا في الرياض، اكثر مما هو في القاهرة، اللهم الا اذا حدثت مفاجأة، او معجزة، تنسف كل المسار الحالي.

اسرائيل ليست هدفا في كل ما يجري من التحركات السعودية، وحروبها الحالية والمستقبلية، ولا يعلم بالغيب والسرائر الا العلي القدير، والهدف حتما هو ايران، وابناء الطائفة الشيعية الذي يرتبطون بمشروعها، حسب الادبيات السعودية، ولذلك لم يكن مفاجئا ان يطرح السيد عادل الجبير وزير الخارجية السعودي ان بلاده ملتزمة باتفاق السلام الموقع بين مصر واسرائيل (كامب ديفيد)، وكل ما يترتب عليه من التزامات، وتأكيد تسريبات صحافية اسرائيلية بان بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء على علم بالاتفاق السعودي المصري حول الجزر، وباركه بالكامل، بعد ان حصل على موافقة المجلس الوزاري المصغر الذي ناقشه.

القيادة السعودية الحالية تطرح عقيدة سياسية استراتيجية جديدة، وتجند الحلفاء خلفها، وهي "القومية السنية" كبديل للقومية العربية، والاممية الاسلامية، التي كانت تتبناها السعودية على مدى ثمانين عاما، وبما يؤدي الى

استثناء الشيعة بالكامل، واسقاط الهويتين العربية والاسلامية عنهم، وتحويلهم الى معسكر الاعداء الذي تتزعمه ايران، بغض النظر عن قبولهم لهذا التصنيف من عدمه.

العاهل الاردني عبد الله الثاني تحدث الى اعضاء الكونغرس الامريكي قبل شهرين عن حرب "عالمية ثالثة" في طريقها الى المنطقة، ولا نستبعد ان تكون التحضيرات الحالية التي تقودها السعودية وعاهلها، تصب في هذا الاتجاه، وعلينا ان نضع في اعتبارنا ان العاهل الاردني هو اول من تحدث عن خطر "الهلال الشيعي" قبل عشر سنوات تقريبا، وها هو هذا الهلال يتجسد امامنا في الانقسام الطائفي الذي ينعكس بكل وضوح في الحربين السورية واليمنية، والقادمة في العراق، وغير المباشرة في لبنان، ولم يكن من قبيل الصدفة ان يحذر البيان الختامي الذي صدر عن زيارة ملك السعودية المقبل الامير محمد بن سلمان للاردن، ولقائه مع العاهل الاردني، ايران من التدخلات في شؤون دول المنطقة واشعال الفتن الطائفية فيها.

نظريا.. وعلى الورق.. تبدو "الطبخة" السنية السعودية على وشك النضوج، ومكوناتها مغرية، وبهاراتها الاعلامية والمالية تثير لعاب الكثيرين في المنطقة، وربما بعض دول العالم الاسلامي، واي معارضة لها، او التشكيك فيها، او التحذير من احتمالات احتراقها، واعطائها نتائج سلبية ممنوعة، ومن يخرج عن النص المكتوب سيواجه بـ"حزم"، وربما تفيد الاشارة في هذا المضمار وبعجالة شديدة، الى ان كاتبين سعوديين من عليه القوم، ومن ابرز العقول الاقتصادية، اجبر الاول (عصام الزامل) على مسح ثلاث تغريدات على "التويتر"، اعترض فيها على بيع "ارامكو" اسمها في الاسواق المحلية والعالمية وتأسيس صندوق سيادي بترليوني دولار في غضون ساعات معدودة، بينما سحب الثاني (برجس البرجس) مقالا له ينتقد السياسة الاقتصادية السعودية وخصخصة اصول الدولة نشره في صحيفة "الوطن" السعودية من الطبعة الالكترونية.

في مقال سابق قلنا ان القيادة السعودية تعرف متى تضرب ضربتها في الوقت المناسب، بالاشارة الى استعادتها الجزيرتين المذكورتين من خلال الاتفاق الاخير في مصر، مستغلة اوضاع مصر الاقتصادية المتدهورة، ونضيف هنا بعدا جديدا، وهو انها لم تطالب مطلقا بهاتين الجزيرتين عندما كانتا تحت الاحتلال الاسرائيلي لاكثر من 12 عاما، ولم تلمح مطلقا بسيادتها عليهما، لتجنب اي صدام مع دولة الاحتلال الاسرائيلي ولكن بعد استعادتهما عبر اتفاقات كامب ديفيد ضمن شبه صحراء سيناء، تغير الامر، وبدأت تظهر الوثائق المرفوقة بضغوط كبيرة، واستعدادات مصرية لصفقة "التنازل" مقابل ثمن مالي ضخم.

حرب حزيران (يونيو) 1967 اندلعت بسبب جزيرتي "تيران" و"صنافير"، وقرار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر اغلاق مضيقهما في وجه السفن الاسرائيلية، ولكننا لا نعتقد ان الحرب العالمية الثالثة ستشتعل بسببهما، بل ربما ما قد يحدث هو العكس تماما، اي ان تتحول الجزيرتان الى جسر لتطبيع مقبل بين "القومية" السنية السعودية و"القومية

اليهودية" في مواجهة "القومية الشيعية الفارسية، وليس هناك اي شيء مستبعد في هذا الزمن العربي الرديء، ونأمل ان لا تصدق توقعاتنا هذه المرة.